

أضواء البيان

@ 42 @ لِكَلِمَاتٍ رَبِّي لَنَنْفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا } ، وقوله : { وَلَوْ أَنْزَلْنَاهُ فِي الْوَحْيِ مِنْ شَجَرَةٍ أَوْ لَمْ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةَ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ } . .

قوله تعالى : { أَلَمْ يَأْخُذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ } . .

هذا الميثاق المذكور يبينه قوله تعالى : { وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبَيَّضُ مَا يَشْتَرُونَ } .

قوله تعالى : { وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبِطِلُونَ } . .

في هذه الآية الكريمة وجهان من التفسير معروفان عند العلماء :
أحدهما : أن معنى أخذه ذرية بني آدم من ظهورهم : هو إيجاد قرن منهم بعد قرن ، وإنشاء قوم بعد آخرين كما قال تعالى : { كَمَا آتَيْنَاكَ مِنْ دُرِّيَّةٍ قَوْمٍ آخَرِينَ } ، وقال : { هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ خَلَائِفَ فِي الْوَحْيِ } وقال : {

وَيَجْعَلُ لَكُمْ خُلَفَاءَ } ، ونحو ذلك من الآيات : وعلى هذا القول فمعنى قوله : { وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى } أن إلهادهم على أنفسهم إنما هو بما نصب لهم من الأدلة القاطعة بأنه ربهم المستحق منهم لأن يعبدوه ، وحده ، وعليه فمعنى قالوا بلى ، أي قالوا ذلك : بلسان حالهم لظهور الأدلة عليه ونظيره من إطلاق الشهادة على شهادة لسان الحال قوله تعالى : { مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ } أي بلسان حالهم على القول بذلك ، وقوله تعالى : { إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ } أي بلسان حاله أيضاً على القول بأن ذلك هو المراد في الآية

أيضاً . .

واحتج من ذهب إلى هذا القول بأن الله جل وعلا جعل هذا الإشهاد حجة عليهم في الإشراك به
جل وعلا في قوله : { أَلَمْ تَقُولُوا ۖ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنْ زُنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا
غَافِلِينَ أَوْ تَقُولُوا ۖ إِنْ زُنَّا مَا أَشْرَكْنَا بِمَا تُؤْفَكُونَ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا
ذُرِّيَّةً مِّنْ بَعْدِهِمْ } ، قالوا : فلو كان الإشهاد المذكور الإشهاد عليهم يوم
الميثاق ، وهم في صورة الذر لما كان حجة عليهم ،